كلية : الآداب

قسم : اللغة العربية

المرحلة : الثالثة

استاذ المادة : وليد سامي خليل سبع

اسم المادة باللغة العربية : أدب العصور المتأخرة

اسم المادة باللغة الانكليزية: Literature of late times

اسم المحاضرة الثالثة باللغة العربية : الرثاء

اسم المحاضرة الثالثة باللغة الانكليزية: lamentation

الرثـاء:-

وهو من الاغراض البارزة في تلك الحقبة فإلى جانب رثاء الاحباب والاصحاب نجد رثاء المدن الزائلة وبكاء الدول البائدة، فهذا شمس الدين الكوفي(ت675هـ)يبكي على بغداد العلم والحضارة بعد ان فارقها على امل العودة لها واذا بيد التتر تضربها وتحيلها الى خراب،وقد ذكر في مطلعها صحبه واصدقاءه الذين ودعهم الى غير رجعة ،فيقول:

الم تقرح ادمعي اجفانـــــي من بعد بعدهم فما اجفاني

انسان عيني قد تناءت داركم ما راقة نظر الى انسـان

ياليتني قد مت قبل فراقــكم ولساعة التوديع لا أحيانـي

وتعجب الشاعر بعد تطوافه في بغداد من تبدل الوجوه وغياب الاهل والجيران وماحل بها بعدما جالت فيها معاول الهدم وألسنة النيران:

ما للمنازل أصبحت لا اهلها اهلي ولا جيرانها جيراني

وحياتكم ما حلها من بعدكـم غير البلى والهدم والنيران

ووقف مذهولاً امام الدار الخربة- وهي ليست وقفة الشعراء على اطلال محبوباتهم الظاعنات-وسألها عما دهاها واصابها.

ولقد قصدت الدار بعد رحيلكم ووقفت فيها وقفة الحيران

وسألتها لكن بغير تكـــــلم فتكلمت لكن بغير لسـان

فردت الدار على سؤاله بجواب لطيف :ان اهوال الدهر وحوادثه افنتهم كما افنت دولة كسرى:-

قالت غدوا لما تبدد شملهم وتبدلوا من عزهم بهـوان

افنتهم غير الحوادث مثلما افنت قديما صاحب الايوان

لم يصف هذا الشاعر المدينة المنكوبة وصفاً تفصيلياً،انما وصف حزنه على فراق احبابه ووصف الدمار والخراب في مدينته،ولم يستطع ان يتخلص من التزيين اللفظي والمعنوي من الجناس والطباق ورد الصدر على العجز.

ان الشعر الذي قيل في رثاء بغداد كثير ومثله وجدناه في رثاء المدن الشامية التي ضربها التتر،فهذا الناصر يوسف بن الملك العزيز محمد يؤخذ اسيراً مع جميع اقاربه وأتباعه وتضرب اعناقهم بالسيوف،وقال ابياتاً حينما مروا به على حلب:

يعز علينا ان نرى ربعكم يبلى وكانت به آيات حسنكم تتلـى

أدور بعيني نحوكم بدياركـم واكثر فيها النوح كالفاقد الثكلى

ان آثار هذا الغزو بقيت عالقة بالأذهان،تثير بين الحين والاخر الاشجان والاحزان،تهز الكارثة العراء كلما سمعوا بها أو رأوا معالمها أو قرأوا حوادثها المثيرة ووقائعها المؤلمة.

-الـغزل-

يعد من الاغراض المهمة في هذه الحقبة حيث افرد له الشعراء القصائد الطوال والمقطوعات القصار، وان مايميزهذا الغرض هوعودة الضمير الى المذكر وربما يعود سببه الى احتجاب المرأة وحجرها في دارها وعدم السماح لها بمخالطة الرجال ومجالستهم حتى المقربين منها منع الشعراء التغزل بها صراحة،حفظاً لسمعتها وخشية من اهلها،فاتخذوا الغزل بالمذكر وسيلة يلمحون به لحبيباتهم عن شوقهم و ودهم لهن.

ان الغزل بالمذكر يتناول وصف الغلام في اعضائه كما توصف المرأة في قدها وخدها وخصرها وردفها وثناياها وشعرها وعينيها حتى في غنجها ودلالها ووصف الشعراء الوجد والهيام والترصد واللحاق كما وصفها المتيمون في حب النساء وافتتنوا بحسن منظره وروائه وسحر طرفه ومبسمه كما يفتتن الرجل بالمرأة الجميلة الساحرة،وعلى الرغم من ذلك الا انهم لم ينحدروا الى المعاني المبتذلة التي نجدها عند ابي نوأس وابي الحسن السلامي وابن سكرة الهاشمي. فهذا ابن نجا الضريرالاربي(ت660هـ)يقول ابياتاً في حبيبته:

تذللت لو ان التذلل ينفـــــــــع وافرطت في الشكوى لو انك تسمع

وامسى خضوعي للحبيب سجيتي وهل نافعي للحب أني اخضـــــــع

ومن عجب اني بحبك مولـــــــع وانت ببغضي والقطيعة مولـــــــع

فهو في هذه القصيدة يبث شكواه من الحبيب الذي اصم اذنيه وكأنه لايسمع بعد ان وقع اسيراً في سجنه الذي لايبرح عنه،فالبغض سجيته والقسوة طبعه وقد نفد صبره وتزاحم وجده.

-الهجاء –

من الموضوعات المهمة في هذا العصر وقد تناول الشعراء في جانب منه العرض وقذف المحصنات والسب والشتم الرخيص الذي تمجة الاذواق وبعضه الآخر فيه شيء من السخرية والهزل وتصوير المهجو بشكل مضحك،او نعته بنعوت مشينة في عرف المجتمع مثل الغدر والبخل والحمق وماشابه ذلك.قال سليمان بن بنيمان(686هـ) في هجاء شهاب الدين التلعفري الذي قامر بثيابه وخفافه وهو يبين فيها بأن لم يسمع ولم ير مثل هذا الشيخ الذي قامر بكل شيء حتى خفافه التي تحميه من اذى الحفاء، ويسخر من انشائه الى بني شيبان ويأنف ان يكون فهم،وهو دقيق مبتذل،يستحق الهجاء فيقول فيه:

ما رأينا ولا سمعنا بشيخ قبل هذا مقامر بالخفاف

يدعى نسبه الى آل شيبـا ن وتلك القبال الاشراف

-الوصف

كان لهذا الغرض نصيب وافر في هذه الحقبة وجاء قسم منه في قصائد ومقطوعات مستقلة،وقسمه الاخرضمن الاغراض الأخرى،ونلمح في اوصاف الشعراء لاسيما في وصف الطبيعة مزجاً بين المشاعر والمشاهد ومنهم من وصف المدينة الجميلة التي تحتضنها الطبيعة الخضراء الزاهية مثل قول عائشة الباعونية(ت922هـ)في وصف دمشق:

نزه الطرف في دمشق فيها كلما تشتهي وتختـــــــار

هي في الارض جنة فتأمل كيف تجري من تحتها الانهار

لم يترك الشعراء شيئاً وقعت اعينهم عليه الا وصفوه فقال احدهم في فانوس:

انظر الى الفانوس تلق متيماً ذرفت على فقد الحبيب دموعـه

احيا لياليه بقلب مضـــــــرم وتعد من تحت القميص ضلوعه

وقال شهاب الدين ابن الخيمي (ت685هـ)في سبحة سوداء:

وسبحة مسودة لونهـا يحكي سواد القلب والناظر

كأنني عند اشتغالي بها اعد ايامك يا هاجـــــــري